المحاضرة الثالثة

الازدهار الفقهي ونشأة المدارس والمذاهب الفقهية

تميزت المدينة المنورة بعد العصر النبوي بوجود جمهور فقهاء الصحابة، الذين كانوا مرجعا أساسيا للتعليم والفتوى، واشتهر منهم الخلفاء الأربعة، وكانت لهم مذاهب فقهية مثل: مذهب عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأبو هريرة، وعائشة بنت أبي بكر، وزيد بن ثابت، وابن عباس، وابن عمر، وابن مسعود، رضي الله عنهم، وغيرهم. وكان لهم اجتهادات، ومذاهب فقهية. ومع مرور الوقت، وتكامل نضوج فقه الصحابة؛ بدء نقل أقوالهم، وتدوين مذاهبهم، وكان يعتمد عند التعارض على قواعد مثل: تقديم ما توافق عليه جمهور الصحابة، أو بحسب الدليل، وجودة الإستدلال، وغير ذلك. وأما مذاهب فقه التابعين؛ فهي امتداد لمذاهب الصحابة، في تأسيس مذاهب الفقه الإسلامي، من خلال ظهور المدارس الفقهية، التي كان أشهرها وأكثرها انتشارا: مدرسة الحجاز في المدينة المنورة، باعتبارها أم المدارس الفقهية، ثم مكة المكرمة (البلد الحرام)، ثم مدرسة الكوفة بالعراق.

مدرسة الكوفة بالعراق

مدرسة الكوفة بالعراق؛ واشتهرت بفقه ابن مسعود وهو من كبار فقهاء الصحابة، ومن أكثرهم فقها للكتاب والسنة، وملازمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وممن جاء الأمر من الرسول بأن يؤخذ عنه

وقد اشتهر فقه ابن مسعود في الكوفة، وأخذ عنه فقهاء العراق وغيرهم، وكان من أشهر التابعين الذين أخذوا مذهبه :علقمة بن قيس، والأسود بن يزيد، ومسروق ابن

الأجدع، والقاضي شريح، وعمرو ابن شرحبيل الهمداني وغيرهم. وأخذ من بعدهم :منصور بن المعتمر، وإبراهيم النخعي، وأخذ عنهم :أبو حنيفة، وسفيان الثوري.

مدرسة فقهاء مكة

مدرسة فقه مكة واشتهر فيها مذهب ابن عباس الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ﴿اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل﴾ وكان من أفقه الصحابة وأعلمهم بتأويل القرآن. ومن أشهر تلامذته الفقهاء :عكرمة، وعطاء، وطاووس، وسعيد بن جبير، وعنهم أخذ عمرو بن دينار، وابن جريج، وعبد الله بن دينار، وغيرهم. وأخذ عنهم الإمام مالك وغيره.

مدرسة فقه المدينة

تعد المدينة المنورة أول مدرسة للفقه الإسلامي، وكان من أشهر المدارس الفقهية وأكثر المذاهب الفقهية انتشارا فيها مذهب زيد بن ثابت الذي شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه أعلم الصحابة بالفرائض، وبالقرآن. وممن اشتهر بالأخذ عنه فقهاء المدينة السبعة، مثل :خارجة بن زيد والقاسم بن محمد وسعيد بن المسيب وسالم بن عبد الله بن عمر وغيرهم. وأشهر من أخذ عنهم محمد بن مسلم الزهري وعنه أخذ الإمام مالك بن أنس مؤسس المذهب المالكي.

خصائص المدارس الفقهية

اختصت المدارس الفقهية بعدة مزايا منحتها ثقة الآخرين وأولوية العمل بها، فالحوادث التي نشأت بعد العصر النبوي أدت إلى ظهور اجتهادات فقهاء الصحابة، ومع مرو الوقت والمعايشة تداخلت تلك الإجتهادات وتلخصت في أقوال، ومذاهب كبار فقهاء الصحابة ثم من بعدهم، وتداخلت الاجتهادات في مراحل تكاملية للنقل والتدوين.

تأسست المذاهب الفقهية من خلال نقل مذاهب الصحابة، ثم ما تلخص منها واشتهر بتأسيس المدارس الفقهية في المدينة، ومكة، والكوفة، والتي تلخص منها ظهور مذاهب فقهية لعدد من فقهاء التابعين وتابعيهم، وتلخص منها صياغة المذاهب الفقهية.

وتعتبر الفترة الزمنية التي بين مطلع القرن الثاني الهجري حتى منتصف القرن الرابع هي الفترة التي بلغت المذاهب الفقهية اوج التأصيل والتفريع ، والتنسيق بين النظريات وواقع الحياة ، ثم تدوين المذاهب وانتشارها بين الامصار .

فكانت في هذه الفترة حركة علمية مباركة ، ليس في علوم الشريعة والادب فحسب بل في جميع العلوم حتى الطب والفلك .

وكانت الفتوحات الاسلامية ، واتساع دار الاسلام ، ودخول الاعاجم في الاسلام ولهم ثقافتهم وعلومهم وفنونهم ، كان ذلك من اهم حوافز تدوين الفقه وانتشاره ، وتيسيره للناس ، ولذلك تشعبت المذاهب واختلفت الانظار ، تبعا لاختلاف الاقطار ، وحظ الافكار من الثقافات الحديثة الى جانب الثقافة الدينية .

فظهرت مذاهب فقهية كثيرة منها : مذهب الحسن البصري في البصرة ، ومذهب ابي حنيفة في الكوفة ، ومذهب الاوزاعي في الشام ، ومذهب مالك في المدينة ، ومذهب الشافعي في مصر ، ومذهب احمد في العراق .

ومن الاسباب التي ادت الى ازدهار الفقه في هذين القرين هي :

١ . كثرة الوقائع في هذا العصر ، ولكل بلد مقومات وتقاليد تختلف عن البلد الاخر فكانت احكام الفقهاء تختلف من بلد الى آخر طبقا لذلك .

٢ . كثرة الجدل ومجالس المناظرات بين الفقهاء ، فانتشار العلوم وشيوع المعرفة ادى ذلك الى ان يدافع كل مذهب عن مذهبة بالحجة والدليل مما اثر ذلك في ازدهار الفقه والتدوين والرواية .

٣ . اهتمام امراء الدولة الاسلامية من الامويين والعباسيين بالعلم والعلماء مما جعل العالم ذا مرتبة مرموقة في الناس ويقدر من قبل الدولة فكان ذلك سببا في التجاء كثير من الناس الى العلم والتعلم لسهولة الوصول الى العلماء في تلك الفترة لان العلماء كانوا يأتون الى الامصار من جميع الاماكن لتدريس العلم ونشر المذاهب .

٤ . حرية الرأي في الاستنباط الفقهي ، دون تحكم سلطة الحاكم في ذلك ، او اجبار الناس على مذهب ، فكان ذلك سببا في ابداع الفقهاء في آرائهم الفقهية وعدم الخوف من نشرها على الناس مما ادى الى ازدهار الفقه في تلك الفترة .

٥ . تدوين المذاهب الفقهية ووضع المصطلحات الخاصة بهم ، كان سببا في انتشار الفقه ايضا في تلك الفترة .